حديقة السوسن

(تابع لما قبل)

— ١٢ —

لقد فات انصار المماثلة التامة بين الجنسين ان النسآء لو صرفنَ الجهد للحصول على حقوقٍ لهنَّ ما برحتْ مسلوبةً وهنَّ عنها مُعرضات بدلاً من اضاعة الوقت بمطالب هي لهنَّ آفات موبقات لأفلحنَ حالاً وسعدنَ مآلاً وكنَّ في نظر العاقل المتروّي حكيماتٍ حازمات ولساد السلام بين افراد الفريقين وبلغ ناموس العمران حدَّهُ من الارتقآء والكمال. ولكن هيهات فان التطاول الى نيل المجد الكاذب والنهمة في اكتناز الدينار والتهافت على الاكثار من الخروج والولوج تعرُّضاً للانظار قد صرف الافكار عن تدبُّر حقائق الاشيآء فتجسَّمت للنسآء ومن كان على شاكلتهنَّ بجسمٍ خدَّاع وتشكلت بغير شكلها الطبيعي حتى اصبحنَ راغباتٍ فيما يشقيهنَّ ويذلُّهنَّ مزدرياتٍ بما يرفعهنَّ الى اوج الراحة والمجد والكمال

اما تلك الحقوق فهي في الغرب غير ما في الشرق وفي اميركا خلاف ما في اوربا وفي بعض الأُمم من هذه تتفاوت وتمتاز عنها في البعض الآخر واليك محصَّل الحال

اولاً — ان المرأة في اوربا لم تبرح غير قيّمة على مالها ولا يُباح لها (غالباً) التصرُّف فيهِ الاَّ باذن زوجها ورأيهِ ما لم يكن من نتاج اتعابها

الخاصَّة او مما يصل اليها من اهلها احياناً (غير الارث والبائنة المعروفة بالدوتة) وهو ظلمٌ بحتٌ لم يصل اليهِ اكثر الشرقيين مع ما اشتهروا بهِ من التهافت على حَجْر المرأة والتضييق عليها

ثانياً – ان المرأة في اوربا عامَّةً وفي اميركا جملةً اصبحت على خلاف ما يترآءى لذهن الرائي من سقط المتاع الذي لا يشرى ولا يباع الم ترَ ان الفتاة ولو سمت البدر حسناً والشهاب ذكآءً والنسيم رقةً ولطفاً وقدود البان هَيَفاً ورشاقةً وكان صدرها خزانة الادب والعلوم ولسانها كنز المنثور والمنظوم ولها من نبالة الاعراق وطيب العنصر ونقآء الحسب ما يعرج بها الى مراتب الملوك والامرآء لا يُقبِل عليها خاطبٌ دون ان تمهرهُ مبلغاً من المال يزيد وينقص بحسب ما لهُ ولها من الوقع والمقام في هيئة الاجتماع او على نسبة ما في صناديق ابيها من الاصفر الرنَّان كانها في اعتبارهم مصيبةٌ من المصائب الجسام لا يُقدِم الكُفَّء على الاقتران بها الا برشوةٍ باهظة – هي البائنة او المهر المعكوس — ولم تقف المسألة عند هذا الحدّ بل اصبح العدد العديد من فتيات اميركا وبعض اوربا ينشرنَ الاعلانات عن انفسهنَّ في الصحف السيارة[1] — وقد رأينا مثلها في القطر المصري ايضاً — على اساليب شتى يغرينَ بها الرجال على الاقبال للتزوج بهنَّ بما يزخرفنَ لهم من مظاهر التشويق بتعداد ماحوينَ من رائع الجمال واحرزنَ من بديع الخلال وكنزنَ من نوادر التحف ونفائس الحلي وبدرات الاموال

(١) قيل انهُ في نيويرك وحدها نشر سنة ١٩٠١ نحو مئة واربعين الف اعلان من هذا القبيل

كانَّ الزواج صفقة تجارية يراد بها الربح المـالي لا شركة حياةٍ تحتاج الى التشاكل والحب [١] اكثر من احتياجها الى الجمال والمال . وكانَّ المرأة ليست ما ندعوهُ بريحانة القلب ومفرّجة الكرب والمعوان على الحياة في سرّآئها وضرّآئها بل هي على هذا الزعم وبمقتضى اصطلاحهم صندوقٌ من حديد يراد منهُ اغناءُ الرجل عن السعي والكسب والارتزاق حيثما يصبح آلة جامدة لا تتحرك الا للملاهي والشهوات والانزواءِ في الحانات وتعود جذوة ذكآئهِ فحمة خامدة يغشاها رماد الاباطيل والترّهات فلا ينفع البناءَ البشري بشيءٍ بل يعيش كالحيوانات الحلَمية [٢] التي تلتمس القوت من اجسام غيرها . فاين التكافؤ والتساوي مع هذا الحـال العجيب بل اين ادّعاء المتمدن الغربيّ انهُ رفع مقام الانوثة وخصها بالاكرام والأَثَرة . ايكون هذا الخبر وذاك المَخبَر

اننا نحن معاشر السوريين « سكان الداخلية التي لم يتطرق اليها بعد التمدُّن الاوربي الاَّ في بعض الشؤون » لا يفوز فتانا بعروسٍ يخطبهـا حتى يبذل في سبيلها قسماً من ثروتهِ ويتخذ الف ذريعةٍ ووسيطٍ تجاه ابويها ويمهرها ثمت من الدينار والحلي ما يشفُّ عن إِجلالنا قدر البنات ومعرفتنا

---

(١) قد احسَّت فتيات اميركا في الزمن الاخير بأن الحب من اهمّ ضروريات الزواج فألّف بعضهنّ لجنة تمنع كل فتاةٍ تنتظم في سلكها من الزواج اذا لم يكن الباعث عليهِ الحب والتآلف بين العروسين (٢) يراد بالحيوانات الحلمية ما يدب على جسم الانسان والحيوان ويلتمس غذآءهُ من دمآئهِ فيعيش ويموت على حساب غيرهِ يرتع في بدنهِ ويمتص دمهُ بلا جهدٍ ولا تعب كالقراد والبقّ والقمل وماشاكلها

اهمية رباط الزواج غير باحثين عن « دوتة » ولا ملتمسين الاثرآء من اموال النسآء لا بل كثيرون منا يأنفون ان يدخلوا الى اموالهم ما قد تناله نسآؤهم ميراثاً عن آبآئهنّ فيدَعونهُ لهنّ غير ممسوس يتصرفنَ فيهِ كيف شئنَ . هذا حالنا نحن الذين نُدعى عند الاوربيين والمتفرنجين من ابنآء الثغور الشرقية نصف متمدنين ونُرمَى منهم بامتهان المرأة واذلالها افتئاتاً ورجماً بالغيب

ومما زاد في الطنبور نغمة انك ترى اليوم في اميركا واوربا بل في بعض مدائن الشرق سماسرة وسمسارات للبنات يسعون بالتأليف بينهنّ وبين الفتيان وتمهيد العقبات امام الوالدين وابرام الصفقات على كميات الاموال التي يبذلها الاب المسكين لصهرهِ « العزيز » لكي يحوّل عن منزلهِ تلك النازلة الدهمآء المدعوة « فتاة » الى عشّهِ الزوجيّ تنازلاً وكرم اخلاق. وهؤلآء السماسرة يتقاضون الفريقين مبلغاً معيناً من اصل تلك الاموال التي يُرشى بها الزوج باتفاق بينهم يجري سلفاً اي قبل مباشرة « البازار » وعقد الصفقة حتى ان كثيراً من الأُسَر اليوم اصبح ذا ثروةٍ طائلة من هذا المورد العذب ألا وهو « سمسرة البنات » فنعم المورد ونعم الارتزاق

اليس من العار على ابنآءِ هذا العصر في العالَم الجديد والقديم الذين يدّعون انهم ضارعوا الآلهة علماً وسموّ مدارك ان يتركوا شؤون الزواج التي عليها يتوقف ارتقآء العمران وبقآء نوع الانسان مشوشة مختلّة لا تتعادل فيها الحقوق بين الجنسين ولا يُسنُّ لها قوانين صحيحة ثابتة اساسها النزاهة وعمادها التعقل وركنها الصواب تذهب شهيدة زيغها وانحرافها

الوف الالوف من العذارى اللواتي يلبثنَ بسبب هذه السنَّة الذميمة — سنَّة البائنة — قعيداتٍ في بيوتهنَّ لعدم اقتدارهنَّ او لعجز آبآئهنَّ عن أداء الرشوة ليزوّجنَ بناتهنَّ تلك السنَّة التي اصبحت في هذا العصر عصر المدنية والنور داءَ الزواج الدفين وعلَّة شقآء النسآء المبين

ان الصينيين والاشوريين القدمآء هم لعمر الحق اكثر منكم يا معشر الاميركيين والاوربيين عنايةً بهذا الشأن الخطير واوفر منكم دربةً لاعطآء كلٍّ من الفريقين حقهُ منهُ بلا غدر ولا حيفٍ فقد اتخذوا بدهآئهم واصالة رأيهم وسائل فعّالة تمكن كل انثى تجنح الى الزواج من الحصول عليهِ كما تشآء بلا كبير عنآءٍ فلا تلجأ ثمت الى المكث في بيت ابويها عانساً مدى الحياة تكافح امياهها الجنسية مكافحةً تجعل حياتها ينبوعاً للتعس والشقآء فضلاً عما ورآء هذا الاحتباس القسريّ من موجبات الاعتلال الجالبة للآلام والاسقام لكثير من تلكم العانسات والعواتق فان الصرع والسرسام والهستيريا والانيميا [1] وكثيراً من امثال هذه الادوآءِ الوبيلة من منتجات تلك الحياة اللاطبيعية ميدان الويل والنغص ومنبت الاحزان والبلآء

أجل لقد علمنا من عوائد الصينيين والغاليين القدمآء ان ربَّ البيت

---

(١) ان هذه العلل المعدودة وكثيراً غيرها مما لم نذكرهُ رغبةً في الايجاز تعتري غالباً البنات اللواتي يعنسنَ ولم يتزوجنَ ولا سيما اذا كنَّ عصبيات المزاج او دمويات ولا ينجو منها الا ذوات المزاج اللمفاوي واكثر الراهبات والمتبتلات باختيارهنَّ هنَّ من هذا المزاج ما لم يكنَّ مكرهاتٍ على الرهبانية لعوارض واسباب موجبة

منهم متى صارت فتاتهُ كاعباً او مُعصِراً اتخذ في كل عام مأدبةً يدعو اليها لفيفاً من الشبان الذين يتناسبون مع فتاتهِ سنّاً وحسباً وطباعاً حتى اذا تألبوا حول مائدة الطعام قدّمت الفتاة قدحاً من الخمر لمن تستحسنهُ من اولئك الشبان اشارةً الى كونها اختارتهُ لها حبيباً وخطيباً فان امتصّ منهُ جرعةً واعادهُ الى الفتـاة عُدّ ذلك منهُ ايذاناً بالرضى ودليلاً على القبول الصريح فيحضر المدعوون العقد ويدعون للعروسين بالرفآء والبنين وان ردّ الكاس معتذراً حُسب ردُّهُ علامة رفضٍ . وعندها اما ان تقدّم الكاس لغيرهِ ممن تهوى امتحاناً لرضاهُ واما ان يؤجّل الامر — اذا لم يكن هنالك من يقع عليهِ اختيـارها غير الاول - الى عامٍ قابل فينصرف المأدوبون بسلامٍ ولا يزال الأَبُ يكرّر في كل عامٍ هذه المأدبة في يوم موعود يدعى اليها كلُّ من يتبادر للذهن انهم اكفآء لفتاتهِ العذرآء حتى يتهيأ لها الحصول على خطيبٍ يرضاها وترضاهُ

اما الاشوريون القدمآء فقد انبأنا التاريخ ان كل مدينةٍ او قريةٍ في بلادهم يخرج اهلها بفتيانهم الراشدين وفتياتهم الناهدات في مهرجانٍ لهم مشهور الى سهلٍ فسيح في ضاحية البلد وهناك يحضر من الشيوخ وسدَنة الاوثان وكهنتها يقسمون العذارى فئتين حساناً وغير حسانٍ ثم يفرزون الفتيان الى جانبٍ ويبتدئون باجمل فتاةٍ فيعرضونها للزواج على مهرٍ مسمًّى يعيّنهُ الكهنة فيتبارى الشبان الطالبون متدرّجين الواحد بعد الآخر بالزيادة في المهر كما يُفعَل اليوم في اسواق المزاد المعدّة لبيع السلَع حتى تكفّ الرغبات ويتعذّر المزيد وعندها تحقُّ الصفقة لآخر طالب فاذا راق

في اعين الحسنآء استوفوا منهُ المال واتمّوا العقد ثم اشتغلوا بغيرها على هذا المنوال ولا يزالون كذلك حتى يُعقَد زواج الحسان كافّةً . ثم يشرعون في عرض الفئة الثانية واحدة فواحدة مشروطاً ان يُعطى لمن يرضاها كذا وكذا من اصل المال المجموع من مهور الحسان فيأخذ الفتيان طالبو المال يتسابقون في انقاص ما يُعرَض عليهم من المال حتى تستقرّ الحال على المُنقِص الاخير . وهكذا يزوجون متوسّطات الجمال او غير الجميلات بما يجمعونهُ من مهور الجميلات وان زاد لديهم شيءٌ من المال ابقوهُ في خزائن السدَنة الى عامٍ قابل يسدُّون به ما لعلهُ ينقص في مهرجانهم الآتي من مهور الحسان عما يعطى لبعول غير الحسان وهكذا يقفل الجميع مسآء ذلك اليوم من مهرجانهم هذا الى منازلهم فرحين طربين وقد اتموا عقد كل عذرآء بلغت سنّ الزواج في عامهم ذلك .

وعلى هذا تجد اولئك الاقوام الناشئين اطفالاً في مهد الانسان التاريخي المدني كانوا منذ آلافٍ من السنين اكثر من متمدني هذا الزمان اقتداراً على إزواج بناتهم حالما يبلغنَ مبلغ النسآء على صورةٍ يتوفر فيها حسن الانتخاب مع السهولة والعدل بلا غصبٍ للفتيات ولا اكراهٍ للفتيان . واين هذه القاعدة المثلى وما ينشأ عنها من سعادة الحال وبين اصطلاح عصرنا واهلهِ الذين يتركون عذاراهم هَمَلاً ينادينَ على انفسهنّ في الصُحُف ويرشونَ السماسرة ويتزلفنَ الى الكهنة قصدَ ترويج حالهنّ كانهنّ بضاعة مزجاة فلا ينفق بعضهنّ الا بعد بذل القناطير المقنطرة من الذهب الوضاح . اما الفريق الاكبر فيلبثنَ في اخدارهنّ الى الممات محتبساتٍ

مهملات ساخطات على عالَم الأُلفة والاجتماع الذي لم يجدنَ من ابنـآئهِ من يصبو اليهنَّ فيعتقهنَّ من هذا الإسار وكثيرات من هؤلآء يذهبنَ لعدم التحمل ونقص التربية الى حيث يبعنَ الحيآء والعفاف في معاطف الطُرُق وزوايا المواخير

وانكى من هذا ان الشبان من اجل السبب عينهِ اصبحوا يتباطأون في الزواج علماً منهم انهُ بمقدار ما تزيد ثروة الواحد منهم اوراتبهُ في الخدمة التي يتعاطاها تكون البائنة التي تُعرَض عليهِ اوفر وينال عروساً اجمل فلا تزال الاطماع تؤخرهُ والاماني تشغلهُ من عامٍ الى آخر وهو يلهو عن الحياة الزوجية بما لديهِ من محرَّمات العزوبة حتى يصير كهلاً او شيخاً فعندها اما ان يستغني عن الزواج بتةً كما هو شأن الكثيرين واما ان يختار لنفسهِ مما يُعرَض عليهِ من تكون دون العشرين سنًّا وهو يربو على الخمسين فيقطع معها حياةً قلما تكون مُثمرةً حشوها الغُصَص والويل والشقآء

(ستأتي البقية) سليم عنحوري

نجاة من خطر الموت

اتفق لنا الحادث الآتي بيانهُ وهو مع كونهِ من الحوادث النادرة الوقوع فانهُ شديد الخطر واذا لم يُتدارك بلطف الحيلة والاعتماد على ما يوحيهِ العلم الصحيح لم يُؤمَن فيهِ وقوع المحذور والاعانة على نفاذ المقدور ولذلك رأينا ان ننشرهُ على صفحات الضيآء تنبيهاً للمطالعين الى وجه العمل فيما لعلهُ يحدث من مثلهِ وهو هذا